

أضواء البيان

@ 510 @ الصَّالِحَاتِ فَأُوْٓوْا لَّائِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ { وقوله تعالى : { وَلِلَّهِ خِزْيَةٌ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا } والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة . .

وقال بعض العلماء : تقديره خافضة أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا رافعة أقواماً كانوا منخفضين في الدنيا ، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله تعالى ، كقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } إلى قوله { فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرْضِ رَأَيْكَ يَنْظُرُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وقال بعض العلماء : تقديره ، خافضة بعض الأجرام التي كانت مرتفعة كالنجوم التي تسقط وتتناثر يوم القيامة ، وذلك خفض لها بعد أن كانت مرتفعة ، كما قال تعالى : { وَإِذَا الْكُتُوبُ أُكْرِبُ انْتَشَرَتْ } وقال تعالى : { وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ } . . رافعة : أي رافعة بعض الأجرام التي كانت منخفضة كالجبال التي ترفع من أماكنها وتسير بين السماء والأرض كما قال تعالى : { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً } ، فقوله : { وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً } ، لأنها لم يبق على ظهرها شيء من الجبال ، وقال تعالى : { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السَّحَابِ } . .

وقد قدمنا أن التحقيق الذي دل عليه القرآن ، أن ذلك يوم القيامة ، وأنها تسير بين السماء والأرض كسير السحاب الذي هو المزن . .

وقد صرح بأن الجبال تحمل هي والأرض أيضاً يوم القيامة . وذلك في قوله تعالى : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ } . .

وعلى هذا القول ، فالمراد تعظيم شأن يوم القيامة ، وأنه يختل فيه نظام العالم ، وعلى القولين الأولين ، فالمراد الترغيب والترهيب ، ليخاف الناس في الدنيا من أسباب الخفض في الآخرة فيطيعوا الله ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضاً ، وقد قدمنا مراراً أن الصواب في مثل هذا حمل الآية على شمولها للجميع . قوله تعالى : { إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًاً وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثَّاتًا } .

